

جاءت امرأة من مصر، تريد أن تلقى الخليفة، فهي تسأل عن قصره، فدلّوها على داره فوصلت، فوجدت امرأة على بساط مرفّع، بثياب عتيقة، ورجلاً يده في الطين، يصلح جداراً في الدار فسألت، فدهشت لما علمت أن المرأة القاعدة على البساط، هي فاطمة بنت عبد الملك، وارتاحت منها تهيّأ، فأنستها فاطمة، حتى اطمأنت إليها وأنست بها، فقالت لها: يا سيدي، ألا تستترين عن هذا الطيّان؟ فابست فاطمة وقالت: هذا الطيّان، هو أمير المؤمنين!

جاءه في خلافته بائع قماش، يعرض عليه ثوباً ثمنه ثمانية دراهم، فقال عمر: إنه حسن، لولا أنه أنعم مما ينبغي! فقال الرجل: لقد جئتك، وأنت أمير المدينة بثوب ثمنه خمسة آلاف درهم، فقلت لي: إنه حسن لولا أنه حسن!!

ومرض الخليفة مرة، وكان عليه قميص وسخ، فدخل مسلمة بن عبد الملك على أخته، فقال لها: يا فاطمة، اغسلوا قميص أمير المؤمنين. قالت: نعم. فعاد من الغد، فإذا هو لم يغسل، فقال: يا فاطمة، اغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يدخلون عليه. قالت: والله ما له قميص غيره!

ولم يدع من الخدم إلا غلاماً صغيراً، كان هو الخادم الوحيد في قصر الخلافة. فوضعت له فاطمة الطعام يوماً، فضجر الخادم وتبرّم وقال: عدس! عدس! كل يوم عدس؟! قالت فاطمة: يا بني، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين! واشتري الخليفة يوماً العنب فقال: يا فاطمة أعنديك درهم تشتري به عنباً؟ قالت: أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم تشتري به عنباً! قال: يا فاطمة، ما بقي لي إلا هذه القطعة من الأرض، وريعها لا يكاد يقوم بحاجاتي، والصبر على هذا أهون من الصبر على نار جهنم! ولم يكن قد بقي لفاطمة من أيام النعيم إلا جواهرها، فقال لها يوماً: يا فاطمة، قد علمت أن هذه الجواهر، قد أخذها أبوك من أموال المسلمين، وأهداها إليك، وإني أكره أن تكون معي في بيتي؛ فاختاري إما أن تردّها إلى بيت المال، أو تأذني لي في فراقك! قالت: بل أختارك والله عليها، وعلى أضعافها لو كانت لي! وردت الحلي إلى بيت المال. وعاشت زوجة الخليفة معيشة، لا تصبر على مثلها زوجة موظف صغير، ورضيت بذلك اتباعاً لزوجها، وأملاً بثواب ربّها، وشاركته خوفه من الله، وتفكيره في الآخرة.

دخل عليه مرة رجل صالح من جلسائه، فقال له عمر: أرفقت البارحة مفكراً في القبر وساكين. فقال هذا الرجل: فكيف لو رأيت الميت بعد ثلاثة أيام، الدود قد غطى جسده، وأكل لحمه، بعد حسن الهيئة، وطيب الرائحة، ونقاء الثوب! فبكى عمر وخر مغشياً عليه. فقالت فاطمة لولاه مزاحم: ويلك يا مزاحم، أخرج هذا الرجل. فخرج الرجل، ودخلت على عمر، فجعلت تصب الماء على وجهه وتبكي، حتى أفاق من غشيتها، فرأها تبكي. قال: يا فاطمة ما يبكيك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، رأيت مصرعك بين أيدينا، فذكرت مصرعك بين يدي الله للموت، وتخليك عن الدنيا وفراقك لها، فذلك الذي أبكاني.

\*\*\*

بكت خوفاً عليه في حياته، فلما مات بكت أسفاً عليه، حتى غشي بصرها، فدخل عليها أخوها مسلمة وهشام يسألانها، ويعرضان عليها ما شاءت من الأموال، فقالت: والله، ما أبكي على مال ولا نعمة، ولكني رأيت منه منظرًا ذكرته الآن فبكيت. قالوا: ما هو؟ قالت: رأيته ذات ليلة قائماً يصلي، فقرأ (يوم يكون الناس كالفراس المبتوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش) فشهِق من البكاء، حتى ظننت أن نفسي قد خرجت، فما صحتي ناديت للصلاة.

ولما ولي أخوها يزيد الخلافة، ردّ عليها حليها، فقالت: لا والله أبداً، ما كنت لأطيعه حياً، وأعصيه ميتاً. لا حاجة لي بها، فقسّمها على أهله ونسائه وهي تنظر.

رحمة الله على أولئك. أولئك والله هم الناس.

(بتصرف من كتاب «قصص من التاريخ» لعلي الطنطاوي)



# الوَخْدَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ

الباحثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ

القراءة المكثفة

أسلوب المدح والذمّ

القواعد (أ)

الطفيل بن عمرو

فهم المسموع (القسم الأوّل)

مثلان عربيان

فهم المسموع (القسم الثاني)

استعمالات "ما"

القواعد (ب)

قاضي الجيران

القراءة الموسّعة



## الْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ

تَحَدَّثَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ عَنْ قِصَّةِ بَحْثِهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: كُنْتُ مَجُوسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، وَكُنْتُ قَاطِنًا (الْمُقِيمَ عِنْدَ) النَّارِ الَّتِي نَوَقِدُهَا، فَسَأَلْتُ النَّصَارَى حِينَ أَعَجَبَنِي أَمْرُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ عَنْ أَصْلِ دِينِهِمْ، فَقَالُوا: فِي الشَّامِ. فَانْطَلَقْتُ إِلَى الشَّامِ، وَأَقَمْتُ مَعَ الْأُسْقُفِ، صَاحِبِ الْكَنِيسَةِ: أَخِي، وَأُصَلِّي، وَاتَّعَلَّمُ. وَكَانَ هَذَا الْأُسْقُفُ رَجُلًا سَوِيًّا فِي دِينِهِ، ثُمَّ مَاتَ. وَجَاءُوا بِأَخَرٍ خَيْرٍ مِنْهُ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: إِلَى مَنْ تُوَصِّي بِي؟ قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، مَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمُوصِلِ. فَلَمَّا تُوَفِّيَ (مَاتَ)، أَتَيْتُ صَاحِبَ الْمُوصِلِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَسَأَلْتُهُ، فَدَلَّنِي عَلَى عَابِدٍ فِي نَصِيبِينَ، فَاتَّيْتُهُ وَأَقَمْتُ مَعَهُ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، سَأَلْتُهُ، فَدَلَّنِي عَلَى رَجُلٍ مِنْ عَمُورِيَّةَ، فَرَحَلْتُ (سَافَرْتُ) إِلَيْهِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِلَى مَنْ تُوَصِّي بِي؟ فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ مَا أَعْرِفُ أَحَدًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ، أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنْ هَذَا زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، يُهَاجِرُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، فَاذْهَبْ إِلَيْهِ إِنْ اسْتَطَعْتَ. وَإِنَّ لَهُ آيَاتٍ لَا تَخْفَى: فَهُوَ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَإِنَّ بَيْنَ كِتَابِيهِ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ، إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتَهُ.

وَمَرَّ بِي رَكْبٌ، وَذَهَبَتْ مَعَهُمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى وَادِي الْقُرَى فَظَلَمُونِي، وَبَاعُونِي إِلَى رَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ، فَبَاعَنِي إِلَى رَجُلٍ مِنْ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ. ثُمَّ خَرَجَ بِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا، حَتَّى أَيْقَنْتُ أَنَّهَا الْبَلَدَةُ الَّتِي وَصَفْتُ لِي، وَأَقَمْتُ مَعَهُ أَعْمَلُ لَهُ فِي نَخْلِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ، وَحَتَّى قَدِمَ «الْمَدِينَةَ» وَنَزَلَ بِقُبَاءَ. وَإِنِّي لَفِي رَأْسِ نَخْلَةٍ يَوْمًا، وَصَاحِبِي جَالِسٌ تَحْتَهَا، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ، فَقَالَ يُخَاطِبُهُ: قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ (أُمَّ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ)، إِنَّهُمْ لَيَتَقَاصِفُونَ (يَزْدَحِمُونَ) عَلَى رَجُلٍ بِقُبَاءَ قَادِمٍ مِنْ مَكَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ. فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَهَا حَتَّى أَخَذْتَنِي رَعَشَةً. فَارْجَعْتَ النَّخْلَةَ حَتَّى كِدْتُ أَسْقُطُ فَوْقَ صَاحِبِي، ثُمَّ نَزَلْتُ سَرِيعًا أَقُولُ: مَاذَا تَقُولُونَ؟ مَا الْخَبَرُ؟ فَرَفَعَ سَيْدِي يَدَهُ وَضَرَبَنِي، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟ أَقْبَلَ عَلَيَّ عَمَلِكُ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي، وَلَمَّا أَمْسَيْتُ جَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكُمْ أَهْلُ حَاجَةٍ وَغُرْبَةٍ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي طَعَامٌ نَذَرْتُهُ لِلصَّدَقَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ لِي مَكَانَكُمْ، رَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ النَّاسِ بِهِ، فَجِئْتُكُمْ بِهِ. ثُمَّ وَضَعْتُهُ. فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ - لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَأَمْسِكُوا هُوَ فَلَمْ يَنْسُطْ إِلَيْهِ يَدًا. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاللَّهِ وَاحِدَةٌ؛ إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ!! ثُمَّ رَجَعْتُ وَعُدْتُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ - فِي الْغَدَاةِ، أَخْمِلُ طَعَامًا، وَقُلْتُ لَهُ ﷺ -: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ. وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجِبُ أَنْ أَكْرِمَكَ بِهِ هَدِيَّةً، وَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَأَكَلَ مَعَهُمْ. قُلْتُ لِنَفْسِي: هَذِهِ وَاللَّهِ الثَّانِيَّةُ؛ إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ!! ثُمَّ رَجَعْتُ فَمَكَثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ فِي الْبَقِيعِ قَدْ تَبَعَ جَنَازَةً، وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ عَدَلْتُ لِأَنْظَرُ أَعْلَى ظَهْرِهِ، فَعَرَفَ أَنِّي أُرِيدُ ذَلِكَ، فَأَلْقَى بِرِدَائِهِ عَنْ كَاهِلِهِ، فَإِذَا الْعَلَامَةُ بَيْنَ كِتَابِيهِ، خَاتَمُ النَّبُوَّةِ، كَمَا وَصَفَهُ لِي صَاحِبِي، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلُهُ وَأُبْكِي، ثُمَّ دَعَانِي ﷺ - فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَدَّثَنِي حَدِيثِي كَمَا أَخَدْتُكُمْ الْآنَ، ثُمَّ أَسْلَمْتُ.

(بِتَصَرُّفٍ مِنْ: صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّاحِبَةِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأْفَتِ الْبَاشَا)

## قراءة موسعة

## قاضي الجيران

إِغْتَادَ أَهْلُ قَرْيَةٍ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي سَاحَةِ الْقَرْيَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَإِنْ كَانَ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلَمَةٌ، حَكَّمُوا بَيْنَهُمَا رَجُلًا سَمَّوْهُ بِاسْمِ (قَاضِيِ الْجِيرَانِ).

وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ فِتْرَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الزَّمَنِ، لَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَكْوَى إِلَى هَذَا الْقَاضِي، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ عَرَفَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَأَدْرَكَ أَنَّ السَّعَادَةَ وَالسَّلَامَةَ مُرْتَبِطَتَانِ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحَقِّ، وَالْإِتِّزَامِ بِهِ. وَظَلُّوا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، حَتَّى سَكَنَ فِي قَرْيَتِهِمْ رَجُلٌ مِنْ قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَكَثُرَتْ ضِدُّهُ الشَّكَاوَى، وَثَارَ الْجِيرَانُ مِنْ مُعَامَلَتِهِ. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّجُلُ الْغَرِيبُ يَعْرِفُ سَبَبًا لِيُتَضَجَّرَ النَّاسُ مِنْهُ، وَالْإِتِّعَادَ عَنْهُ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، عَادَ الْقَاضِي إِلَى الْقَرْيَةِ، فَوَجَدَ النَّاسَ غَاضِبِينَ عَلَى الرَّجُلِ الْغَرِيبِ، وَطَلَبُوا أَنْ تُعَقَّدَ الْمَحْكَمَةُ قَبْلَ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ.

وَافَقَ الْقَاضِي، وَحَضَرَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ. وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ، فَوَجَدَ الْقَاضِي أَكْثَرَ مِنْ شَكْوَى ضِدَّ ذَلِكَ الرَّجُلِ. فَقَالَ مُخَاطِبًا نَفْسَهُ: لَعَلَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ قَتَلَ الْأَبْرِيَاءَ، وَسَرَقَ الْأَمْوَالَ، وَاعْتَدَى عَلَى الْأَعْرَاضِ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْطِقَ بِالْحُكْمِ، مَا لَمْ أَسْمَعْ مِنَ الْمُتَخَاصِمِينَ جَمِيعًا. تَقَدَّمَ الْمُشْتَكِي الْأَوَّلُ وَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي الْمُحْتَرَّمُ، إِنَّ هَذَا الْجَارَ لَا يَعْرِفُ لِي حَقًّا! دَهَشَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ؛ فَهُوَ لَا يَذْكُرُ أَنَّهُ اعْتَدَى عَلَيْهِ، أَوْ أَكَلَ مَالَهُ!

قال القاضي : وماذا فعل؟

قال المشتكي: لَقَدْ طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعِينَنِي عَلَى رَفْعِ كَيْسٍ مِنَ الْقَمْحِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ بِاسْتِغْرَابٍ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ.

قال القاضي: هذه واحدة، وماذا أيضاً؟

قال المشتكي: وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُقْرِضَنِي مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ فَرَفَضَ.

قال القاضي: وماذا أيضاً؟ اذْكُرْ كُلَّ مَا لَدَيْكَ.

قال المشتكي: وَمَرِضْتُ أُسْبُوعًا، فَلَمْ يَأْتْ لِي زِيَارَتِي، وَنَجَحَ ابْنِي، فَلَمْ يُشَارِكْنِي فِي فَرَحَتِي، وَتُوفِّيَ وَالِدِي فَلَمْ يَطْرُقْ بَابَ مَنْزِلِي، لِيُعَرِّئَنِي وَيُخَفِّفَ عَنِّي، وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَنَا إِلَى الْمَقْبَرَةِ.

قال القاضي: هَلْ لَدَيْكَ شَيْءٌ آخَرُ؟

قال المشتكي: لَيْسَ لَدَيَّ شَيْءٌ آخَرُ أَقُولُهُ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَتَّهَمَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ.

قال القاضي: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، فَإِنَّ اتِّهَامَ النَّاسِ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوهُ يُوجِبُ غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى. اِلْتَفَتَ الْقَاضِي إِلَى الرَّجُلِ الْغَرِيبِ وَقَالَ: هَلْ مَا قَالَهُ جَارُكَ صَحِيحٌ؟

قال الغريب: نَعَمْ أَيُّهَا الْقَاضِي، وَلَكِنِّي لَمْ أَعْتَدِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَضْرِبْهُ، وَلَمْ أَدْخُلْ بَيْتَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلَمْ أَقْطَعْ غُصْنًا مِنْ أَشْجَارِ بُسْتَانِهِ، وَلَمْ أَقْتَرِضْ مِنْهُ مَالًا، وَأُمَاطِلُ فِي الدَّفْعِ. فَكَيْفَ يَقُولُ إِنِّي لَا أَعْرِفُ حَقَّهُ؟

قال القاضي: كُلُّ مَا ذَكَرْتَهُ طَيِّبٌ وَحَسَنٌ، وَلَكِنْ لَا يَكْفِي عَدَمُ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى الْجِيرَانِ، حَتَّى يُعَدَّ ذَلِكَ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، فَرُبَّمَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ لِمَعُونَةٍ أَوْ لِمَالٍ، وَعِنْدَمَا تَمَتَّعَ عَنْ إِعَانَتِهِمْ وَإِقْرَاضِهِمْ، تَكُونُ قَدْ أَعْنَتَ الْمَصَائِبَ وَالْفَقْرَ عَلَيْهِمْ، فَهَلْ تَرْضَى بِذَلِكَ؟